

أم البنين (عليها السلام)

الإمام المرجع السيد محمد الشيرازي (دام ظلّه)

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: فاطمة

الأب: حزام بن خالد بن ربيعة الكلابي

الأم: ثمامة بنت سهل الكلابي

العشيرة: الكلبيون، أو الكلابيون، عشيرة من العرب الأقحاح، شهيرة بالشجاعة والفروسية.

الكنية: أم البنين وأم العباس.

الولادة: على الأرجح في السنة الخامسة للهجرة الشريفة.

الزوج: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقط.

الزواج: ليس هناك تاريخ محدد - للأسف - حسب التتبع الناقص، ولكن الأرجح أنه كان بعد سنة ٢٤ للهجرة

الشريفة، وذلك لأن الأمير (عليه السلام) تزوجها بعد إمامة بنت زينب.

الأولاد: العباس أبو الفضل، وعبد الله، وجعفر، وعثمان.. قتلوا جميعاً تحت راية الإمام الحسين (عليه

السلام) في كربلاء، حيث كانوا آخر من قتل، وآخرهم أفضلهم وهو أكبرهم أيضاً وهو العباس أبو الفضل (عليه

السلام) حامل لواء أخيه الحسين (عليه السلام)، وساقى عطاشى كربلاء، وهو أشهر من نور على جبل.

وقد ذكر التاريخ شيئاً مختصراً عن الشخصية المتكاملة لهذه السيدة الجليلة علماً وأدباً، حسباً ونسباً، عملاً

وتقى وعفة، زهداً وإخلاصاً لوجه الله.. فقد كانت عارفة بحق أهل البيت (عليهم السلام) مراعية لفضلهم،

مفتخرة بأولادها وزوجها أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على أهل الدنيا - وحق لها ذلك

-

لقد ظلمها التاريخ - وهذا شأنه مع أصحاب الرسالات، لأن التاريخ تاريخ حكام وملوك وبلطات - وظلمنا معها، لأننا لا نستطيع أن نعرف الشيء الكثير عن هذه المرأة العظيمة، إلا قصة زواجها وإطراء عقيل لحسبها ونسبها، وبكانها على الإمام الحسين (عليه السلام) وأبنائها في المدينة المنورة بعد إستشهادهم (عليهم السلام) بكر بلاء.

وقصة زواجها من أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أتى إلى أخيه عقيل وكان نسابة - أي كان عالماً بأنساب العرب وأخبارهم - قائلاً: اختر لي امرأة ولدتها الفحولة من العرب، لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً يكون مع ولدي الحسين (عليه السلام) في كربلاء.. (فالعرق دساس كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام)). فقال له: أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس منهم..

وبالفعل خطبها الإمام علي (عليه السلام) وتزوجها وأنجبت منه أربعة فرسان قتلوا مع أخيهم الإمام الحسين (عليه السلام).

وعندما أتى الناعي - بشر بن حدلم - حيث سبق ركب الإمام زين العابدين (عليه السلام) ونساء أهل البيت (عليهم السلام) فقد كانت - أم البنين - أول من خرجت لاستقباله، فسألته قبل كل شيء: عن الإمام الحسين (عليه السلام)؟

فدهش بشر حيث لم تسأله عن أولادها الأربعة.. فراح يعزيها بهم واحداً تلو واحد وهي تقول: يا هذا هل سمعتني أسألك عن أحدهم..؟

أخبرني عن ولدي الحسين (عليه السلام).. إني أسألك عن الحسين (عليه السلام) فقد قطعت نياط قلبي، إن أولادي الأربعة ومن تحت السماء فداء لسيدي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)؟!..

وعندما أخبرها باستشهاد (عليه السلام) راحت تبكي وتندب وتبكي كل من حولها من نساء ورجال المدينة المنورة.. فكانت تذهب كل يوم إلى البقيع وتخط أربعة قبور وتبكي بكاءً شديداً وتنشد شعراً حزيناً عليهم (عليهم السلام).

لا تستغرب هذا الوفاء وهذا الأدب من تلك العظيمة، فإنها تسأل عن الإمام الحسين (عليه السلام) وتسميه ولداً، وأنها غيّرت اسمها حفاظاً على شعور أبناء فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين.

نعم.. وانطلاقاً من مبدأ الوفاء للأوفياء، وإحياء ذكرى الأولياء.. انطلق سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) لكي يصدر هذا الكراس عن هذه العظيمة المظلومة.

نسأل الله أن ينفعنا جميعاً ببركة أم البنين (عليها السلام) بهذا الكراس وأمثاله من الكتب الإسلامية الهادفة التي ما زال يفيضها سماحته، وقد تجاوزت الألف، ووفقتنا جميعاً لمراضيه إنه نعم الموفق والمعين..

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.
(أم البنين) عنوان هذه الرسالة التي بين يديك، وقد كتبتها للإشارة بفضلها وسمو مقامها بقدر معرفتنا القليلة بها، لأن التاريخ ساكت عنها إلا بقدر سمّ الخياط^(١).
وهذا هو شأن تاريخ المعصومين (عليهم السلام) فكيف بذويهم، حيث أنه من زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كان المعصومون وذووهم (عليهم السلام) محاربين من قبل من بيده السلطة والمال والسلاح.
وهكذا شاء الله تعالى رعاية لقانون الأسباب والمسببات وقاعدة الامتحان وحتى يكون المتبع لهم (عليهم السلام) لا يريد إلا وجه الله سبحانه.
كما كان كذلك شأن الأنبياء السابقين من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم (على نبينا وآله وعليهم السلام)..
فإننا لا نعرف من (١٢٤) ألف نبي و (١٢٤) ألف وصي - إلا القليل منهم - حتى الإسم، وأما هؤلاء القلة فلا نعرف عنهم أيضاً إلا شيئاً قليلاً جداً، مما ذكر في القرآن الحكيم والسنة المطهرة أو وصل إلينا بالقطع وذلك يسير.

بل لا نعرف عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) الذي هو نبينا وأقرب زماناً إلينا إلا النزر اليسير، حيث لا نعرف شيئاً عن سنيّه الأربعين قبل البعثة إلا الأقل من القليل مع أن مثل هذا العظيم لابد وأن يكون له بهذه المدة الطويلة أحوالات تملأ الخافقين.

١ - سمّ الخياط: أي ثقب الإبرة، لأن السمّ هو الثقب والخياط - بالكسر -: الإبرة، راجع لسان العرب مادة (سم).

ومع الأسف إنني لم أجد كتاباً عن أحوال النبي (صلى الله عليه وآله) بقدر الموسوعة التي ألّفت عن (غاندي) زعيم الهند (٢)، حيث كتبوا حوله (ثلاثمائة) مجلد.

كما لم نجد الكتب التي ألّفت حوله (صلى الله عليه وآله) بقدر ما كتب حول (الإقبال) (٣) المعروف، فقد كتبوا حوله خمسة آلاف كتاب ودراسة، فهل نعرف حوله (صلى الله عليه وآله) خمسة آلاف كتاب؟ وهو (صلى الله عليه وآله) لا يمكن أن يقاس بأحد أو يقاس به أحد!!

وعلى أي حال فما لا يدرك كله لا يترك كله، ومن هنا كتبت هذه الكراسة الصغيرة بقدر استطاعتي، لعلها تكون خدمة بالنسبة إليها (عليها السلام)، كما قال (صلى الله عليه وآله): (من ورّخ مؤمناً فقد أحياه) (٤).

قم المقدسة

شعبان ١٤١٩ هـ

محمد الشيرازي

٢ - (مهاتما غاندي) دعا إلى تحرير بلاد الهند من الأجانب لا بالقوى المسلحة ولكن بالمقاومة السلمية، مات قتلاً سنة ١٩٤٨ م.

٣ - محمد إقبال: (توفي سنة ١٩٣٨ م) شاعر وفيلسوف باكستاني.

٤ - سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٤١ مادة (ورخ) وفيه: (من ورّخ مؤمناً فكأنما أحياه).

الزواج المبارك

تزوَّج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حسب وصية (٥) فاطمة (سلام الله عليها) بـ (أمامة) بنت زينب أختها.

ولم نعرف شيئاً يذكر عن (أمامة) ولا عن زينب باستثناء قصة الهجرة (٦) وبضع قصص (٧) أخرى قليلة مقتضبة جداً.

وبعدها تزوَّج الإمام علي (عليه السلام) بـ (أم البنين) حيث عرفها له أخوه كما في قصة مشهورة (٨)، وبعد علي (عليه السلام) لم تتزوَّج أم البنين (سلام الله عليها) بأحد، مع أنه كان من المتعارف في الإسلام زواج من مات زوجها بإتسان آخر.

نعم الرسول (صلى الله عليه وآله) كان مستثنى عن هذه القاعدة بالنص، قال تعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

٥ - راجع منتهى الآمال: ج ١ ص ٢٧٠ الطبعة المعربة وفيه: (يا بن عم، أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة فإنها لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء). وقد تزوَّج الإمام (عليه السلام) بأمامة بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء (عليها السلام) كما ذكر ذلك الشيخ المفيد (قده) وروى عنه الشيخ المجلسي (قده).

٦ - قال الطبراني في (ذيل المذيّل): إن زينب توفيت في أول سنة ٨ من الهجرة وكان سبب وفاتها: أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أدرجها هبار بن الأسود ورجل آخر فدفعها أحدهما - فيما قيل - فسقطت على صخرة فأسقطت فاهراقت الدم فلم يزل بها وجعها حتى ماتت. راجع ذيل المذيّل: ٣.

٧ - كقصية أنها لما رأت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والكفار يؤذونه وهو يدعوهم إلى عبادة الله والإيمان، فلما ارتفع النهار وابتعد عن الناس أقبلت تحمل قدحاً ومنديلاً وقدمتهما لرسول الله (صلى الله عليه وآله) راجع: أسد الغابة: ج ٥ ص ٤٦٧.

٨ - حيث قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأخيه عقيل ذات يوم: أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له: تزوَّج بنت حزام الكلابي فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها.

رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا(٩)، وهل كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كذلك بما لم يصل إلينا، أو هي (عليها السلام) لم ترض بالزواج؟ لا تعلم.

فقد شرع الإسلام تزويج كل امرأة وكل رجل توفي أحدهما سواء كان ذلك في ابتداء أمرهما أو لم يكن هذا شيء لم يكن قبل الإسلام ولا بعد مضي أيام عز المسلمين إلا القليل ممن استمر في الالتزام بالشريعة المقدسة، فإذا مات أو قتل أو طلق الزوج تزوجت ثانياً وهكذا.. كما ورد في جعفر (عليه السلام)(١٠)..
وحمزة (عليه السلام)(١١)، وغيرهم (١٢).

..وقد قرأت عن (مصر) أن فيها اليوم خمسة عشر مليون شاباً وشابة في سن الزواج ولكنهم لم يتزوجوا بعد!، ونفوسها ستون مليوناً.. ولا نعلم كم عدد الأرامل ومن أشبهه (١٣).

نعم قرأت عن بلد آخر أن فيه سبعة ملايين أرملة.
والله العالم عن كثرة الانحراف وعدد المنحرفين والمنحرفات من البنين والبنات مما يضر دينهم ودنياهم، فإن غير المتزوج من الرجال والنساء يصاب بالأمراض المختلفة كما هو المشاهد وقد قرره الطب.
أما بالنسبة إلى عدم زواج زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) من بعده فمن المعلوم أهمية ذلك، وأنه من مختصاته (صلى الله عليه وآله)(١٤).

٩ - سورة الأحزاب: ٥٣.

١٠ - حيث أن أسماء بنت عميس كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب فولدت له في هجرتهم إلى الحبشة محمد بن جعفر وعبدالله وعوناً، ثم هاجرت معه إلى المدينة، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمد بن أبي بكر، ثم مات عنها فتزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فولدت له يحيى بن علي.

١١ - اختلف في زوجة حمزة فقيل إنها (سلمى بنت عيسى الخثعمية) وقيل (اسماء بنت عيسى) وقيل (زينب بنت عيسى) والأول أقوى، فولدت له أمة الله - وقيل امامة -، ثم تزوجها بعد قتل حمزة، شداد بن الهاد الليثي فولدت له عبد الله وعبد الرحمن.

وعن الصدوق في الخصال: ص ٣٦٣ ح ٥٥: (عن أبي جعفر (عليه السلام): رحم الله الأخوات من أهل الجنة، فسماهن: أسماء بنت عيسى الخثعمية وكانت تحت جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عيسى الخثعمية وكانت تحت حمزة... الحديث. راجع أعيان الشيعة ج ٣ ص ٤٧٣، و ٣٠٦. والإصابة في تمييز الصحابة: ج ٤ ص ٣٣٢ الرقم ٥٦٦، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨ ص ٢٨٥.

١٢ - وفي سفينة البحار: ج ١ ص ٣٥ مادة (امم): لما جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوج أمامة بعده، فلما توفي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقضت العدة، تزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى، وتوفيت عنده.

١٣ - كالمطلقات، فقد اطلق الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء المصري صفارة الانذار حول معدلات الطلاق في مصر، إذ أكد المركز ان هناك ٣٠ حالة طلاق بين كل مائة حالة زواج سنوياً، وترتفع في القاهرة إلى ٣٣% ففي السنة الماضية حصلت ٦٨١ ألف حالة زواج في حين كان عدد حالات الطلاق قد بلغت ٢٢٧ ألف حالة. (الرأي الآخر: العدد ٢٧ ص ٥ بتاريخ اجمادى الآخرة ١٤١٩ هـ ٢٢ / ٩ / ١٩٩٨)

١٤ - انظر (شرائع الإسلام) المجلد الأول ص ٥١٠ كتاب النكاح، خصائص النبي (صلى الله عليه وآله)، وراجع موسوعة

فكان عدم زواجهن أهم من زواجهن، والشارع المقدس يقدم الأهم كلما دار الأمر بينهما.
والظاهر أن أم البنين (سلام الله عليها) لم ترزق من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بنات (١٥) حسب ما سجله التاريخ.

٢

ذات المعنويات العالية

الشيء القليل الذي نعرفه عن أم البنين (عليها السلام) مرتبط ببعض الماديات وما أشبه، كنسبها وزواجها بعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولادها الأربع وشيء عن أدبها الجم وبعض قضاياها بعد قصة كربلاء... أما مقدار معنوياتها العالية، ومدى معرفتها وعلومها.. فلم نعلم منه شيئاً يذكر.
نعم يمكننا المعرفة الإجمالية عبر رؤية بعض الآثار..
فمثلاً ورد في أحوال السيدة المعصومة (عليها السلام) أن من زارها عارفاً بحقها وجبت له الجنة (١٦)..
وهذا شيء لا تصل إلى معرفة كنهه عقولنا، فما كان لهذه السيدة العظيمة من الواقعية والمعنوية والقرب من الله عز وجل حتى أنه سبحانه قرر الجنة لمن زارها؟!
نعم هذه الرواية وأمثالها تدلنا على مدى عظمتها ولو إجمالاً..
وهكذا بالنسبة إلى ما للسيدة الجليلة أم البنين (عليها السلام) من المعنوية العالية والمقام العظيم.. حيث يمكننا أن نحسّ بشيء من ذلك عبر ما نراه من الآثار المترتبة على التوسل بها وجعلها شفيعة عند الله عز وجل في قضاء الحوائج..
فإن النذر لها يحل المشاكل الكبيرة التي هي بحاجة إلى الإمداد الغيبي من الله سبحانه، كشفاء المرضى الذين لا شفاء لهم حسب الظاهر، وإعطاء الأولاد لمن لم يرزق ولداً، ودفع البلايا وغير ذلك..
وهذا مما عليه ألوف القصص من المشاهدات والمنقولات، والسبب لا يكون إلا معنوية رفيعة لهذه السيدة الجليلة يقصر ذهننا عن دركها.
ثم إننا لا نستوعب كثيراً من الماديات، ونحن منها ...
فما هي الجاذبية؟.

الفقه: كتاب النكاح.

١٥ - أما ما رزقت من ذكور فهم: العباس، وعبد الله، جعفر، وعثمان (عليهم السلام).

١٦ - راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٦٧ ب ٦٧ ح ٢، وفيه: (من زارها فله الجنة). وانظر بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣١٦. وسفينة البحار: ج ٢ ص ٤٤٦. الطبعة القديمة.

وما هو الكهرباء؟

وما هو تأثير الإرادة القلبية في الأشياء؟

وألف شيء.. وشيء..

فكيف لنا بالمعنويات التي نحن بمعزل عنها، وحتى عن أولياتها؟

إن ذهاب الفلاسفة إلى العقول العشر، والمادية الديالكتيكية (١٧)، وما أشبه.. من الأمور الواضحة البطلان، دليل بَيِّن على أن الإنسان لا يمكنه أن يستوعب الماديات الواضحة، فكيف بالمعنويات التي هي فوق طاقة الإنسان وقدرته؟.

ولعل في زمان ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) - حيث يضاف (٢٥) حرفاً على ما بيد الإنسان اليوم من العلوم، فإنها لا تتجاوز الحرفين فقط - يظهر بعض الأمور المعنوية بإذنه سبحانه (١٨).
(عليها السلام)

٣

المرأة نصف البشر

لا شك في أن المرأة كالرجل إلا أن (وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ) (١٩) كما ذكره القرآن الحكيم.
أما ما نشاهده اليوم من تأخر المرأة.. سواء بإيقاعها في الفساد كما في الغرب (٢٠)، أو بحصرها في بيتها

١٧ - المادية الجدلية (أو الديالكتيكية): هو منهج في التحليل التاريخي، استخدمه ماركس وإنجلز، وهو من أسس طريقة التفكير عند الاشتراكيين والشيوعيين. وللتفصيل الأكثر ومعرفة ما فيها من الاشكالات راجع كتاب (نقد المادية الديالكتيكية) للإمام المؤلف.

١٨ - راجع: الخرائج والجرائح للراوندي: ج ٢ ص ٨٤١ ح ٥٩ عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبتها سبعة وعشرين حرفاً). وفي نسخة أخرى بدل (الحرف): (الجزء) في الجميع.

١٩ - سورة البقرة: ٢٢٨.

٢٠ - فمثلاً: اكدت هيئة الاحصاء الحكومية الفرنسية في ١٩٩٩/١/٧ ان ٢ من بين كل ٥ مواليد جدد في فرنسا يولدون من سفاح، وازافت الهيئة ان اولاد السفاح يزدادون تزامنا مع انخفاض معدلات الزواج.

(الرأي الآخر: العدد ٣٠ ص ٥ بتاريخ اشوال ١٤١٩ هـ ١٨/١/١٩٩٩)

وأكد معهد الاحصاء الايطالي ان ما لا يقل عن ٤% من الايطاليات ما بين (١٤-٥٩) عاماً هن ضحايا للاغتصاب الجنسي، وان مجموع الايطاليات اللواتي تعرضن لعمليات تحرش ومضايقة جنسية يصل إلى تسعة ملايين ايطالية.
وأضاف التقرير ان ٢٩% من عمليات الاغتصاب ترتكب داخل البيوت المغلقة و ١٠/٥% داخل السيارات، وكشف التقرير

كما في بعض بلاد الإسلام، فهي نتيجة عدم جريان القانون الإلهي عليها، إما بسببها نفسها، أو بسبب الرجل، أو الأنظمة الحاكمة، أو الاستعمار، أو ما أشبه..

ولذا نشاهد أن المرأة في أول الإسلام - حيث طبق النبي (صلى الله عليه وآله) وأمر المؤمنين علي (عليه السلام) حكم الإسلام - كانت تسير جنباً إلى جنب الرجل:

فالزهاء (سلام الله عليها) كانت تعمل لإدارة البيت (٢١) - مع المشاق الموجودة حينذاك - من الكنس، والسقي، وفتح الماء (٢٢)، وخياطة الثياب، والخبز، والخطابة داخل البيت وخارجه لأجل إحقاق الحق (٢٣)، والعبادة، والتأليف، وتربية الأولاد، وجعل البيت مدرسة لتعليم النساء، وغيرها من الأعمال.. وكذلك كانت ابنتها زينب (عليها السلام) (٢٤).

والسيدة أم البنين (سلام الله عليها) هي كذلك، فكانت مدرسة في مختلف أبعاد الحياة كما يظهر من التاريخ - على قلة ما ورد عنها وعدم استيعابه -.

من ميزات المرأة

نعم لا إشكال في أن للمرأة بعض الخصوصيات والميزات، جعلها الله فيها بحكمته الدقيقة في سنن الحياة، فهي تمتاز على الرجل في درجات العطف والحنان كما تختص بمراحل الحمل والرضاع، فإنها وإن اختلفت عن الرجل في بعض ما يرتبط بالخلق كأثوثتها وبعض أحكامها الخاصة، إلا أن القاعدة العامة بين الرجل والمرأة التساوي إلا ما خرج بالدليل، وقد حمل الرجل الأمور الخشنة كالجهاد وما أشبه مما لا تناسب المرأة فإنها (ريحانة وليست بقهرمانه) كما ورد في الحديث الشريف (٢٥).

وإني رأيت في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة - حيث كنا - قيام المرأة بكثير من الشؤون وفي مختلف جوانب الحياة.

فكان في النجف الأشرف (سوق النساء) وذلك قرب الصحن الشريف عند الطمّة وكان يشتري منها النساء والرجال.

وكان في كربلاء المقدسة أربعة أسواق لهن، في (الزينية) و (باب الخان) و (السلامة) و (شارع الإمام

أيضاً إلى نحو ١٤ مليون ايطالية يخشون السير في الشوارع المظلمة والاماكن المهجورة من دون رجالهن.

(الرأي الآخر: العدد ٢٧ ص ٥ بتاريخ ١٤١٩ هـ / ٢١ / ١٠ / ١٩٩٨)

٢١ - وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): (إن فاطمة (عليها السلام) ضمنت لعلّي (عليه السلام): عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي (عليه السلام) ما كان خلف الباب: نقل الحطب وإن يجيء بالطعام). بحار الأنوار: ج ١٤ ص ١٩٧ ب ١٦ ح ٤، نقلاً عن تفسير العياشي.

٢٢ - متّح الماء: استخرجه، المعجم الوسيط.

٢٣ - إشارة إلى خطبتها (عليها السلام) في المسجد احتجاجاً على أبي بكر، وإلى خطبتها في بيتها للنساء من المهاجرين والأنصار. راجع للتفصيل كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)) ج ٢ و ٣، و ٤، وكتاب (عوامل العلوم) مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) تحقيق وطبع مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) قم المقدسة.

٢٤ - راجع كتاب (السيدة زينب عالمة غير معلّمة) للإمام المؤلف، وكتاب (كلمة السيدة زينب) للشهيد الشيرازي.

٢٥ - راجع غوالي اللنالي: ج ٣ ص ٣١١ ح ١٣٩، وفيه: (فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانه).

أمير المؤمنين (عليه السلام)).

وكانت النساء تشترك مع الأزواج في رعي الأغنام وإدارة البساتين والغزل والخدمات البيتية والخدمات الخارجية مع محافظتهن على الحجاب الإسلامي والشؤون الدينية.

هذا، ومن لاحظ تاريخ المرأة قبل الإسلام وقرأ أحوال المرأة في الغرب والشرق إلى يومنا هذا، يرى عظيم اهتمام الإسلام بالمرأة، وكيف أعطاها حرياتها وكرامتها وعزها وشرفها (٢٦)، وكيف أخذ بيدها إلى ما يمكنها من التقدم في مختلف مجالات الحياة، حتى قال رسول الله: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)(٢٧).

أم البنين (عليها السلام) و واقعة كربلاء

وفي قصة كربلاء وقضية عاشوراء التاريخية قدمت ام البنين (عليها السلام) إلى الله عز وجل أولادها الأربع، حيث استشهدوا بين يدي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

أما هي بنفسها (سلام الله عليها) فلماذا لم تأت إلى كربلاء؟

لم يذكر التاريخ السبب في ذلك - حسب تتبع الناقص -، فلعلها كانت مريضة - كما حكى عن فاطمة الصغرى (٢٨) - أو مشغولة برعاية أولاد بنيتها، أو غير ذلك مما علمه عند الله سبحانه.

٤

زواج الكفو

الإمام علي (عليه السلام) كان كفواً لفاطمة (سلام الله عليها) وفاطمة (عليها السلام) كانت كفواً لعلي (عليه السلام)، كما ورد في الأحاديث:

قال الإمام الصادق: (لولا أن الله خلق أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن لفاطمة كفؤ على وجه الأرض آدم فمن دونه)(٢٩).

وفي بعض الروايات تساويهما في الفضيلة (٣٠) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله).

وهما (عليهما السلام) في المعنويات قبل الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وبعدهما الإمام المهدي

٢٦ - راجع (الفقه القانون) وكتاب (الحجاب الدرع الواقى) للإمام المؤلف.

٢٧ - مجموعة ورام: ج ٢ ص ١٧٦.

٢٨ - هي بنت الإمام الحسين (عليه السلام) وكانت مريضة عند خروجه من المدينة المنورة فبقيت هناك.

٢٩ - سفينة البحار: ج ٢ ص ٤٨٤ مادة (كفاً)، بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٠٧، التهذيب: ج ٧ ص ٤٧٠ ب ٤١ ح ٩٠، عوالم

العلوم: مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ص ٥٢.

٣٠ - راجع كتاب (من فقه الزهراء) ج ١ ص ٢٧ و ٢٨٤، معالم الزلفى (للسيد البحراني):

(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وبعده الأئمة الثمانية (صلوات الله عليهم أجمعين).

هذه هي درجات الفضل حسب ما يستفاد من الروايات (٣١)، والعلم عند الله.

وبعد أن تزوج أمير المؤمنين (عليه السلام) بكفوه فاطمة (سلام الله عليها)، كانت أمامة حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله) زوجة له (عليه السلام)، وإن كان بينها وبين الإمام علي (عليه السلام) بون شاسع.. فإنه (عليه السلام) أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وبعدها جاءت فاطمة أم البنين (سلام الله عليها)، ولها من الفضل والرفعة المعنوية ما لا يسعنا علمه، وإن كانت دون المعصوم (عليه السلام) وحتى دون من لهم العصمة الصغرى كالسيدة زينب والسيدة المعصومة والسيدة نرجس (عليهن الصلاة والسلام).

ومسألة الكفو من أهم ما يلزم ملاحظته في الزواج، والمقصود به ما بينته الروايات مثل:

(إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه) (٣٢).

والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حرّض كل رجل وامرأة بالزواج من الكفو الشرعي، باختيار كل واحد للآخر حسب الملاك المذكور (٣٣): (ترضون خلقه ودينه).

وهذه القاعدة تجري في الطرفين: الزوج بالنسبة إلى الزوجة، والزوجة بالنسبة إلى الزوج، وقد ذكرنا تفصيل الكلام عنه في بعض كتبنا (٣٤).

فكانت أم البنين (سلام الله عليها) قد بلغت درجة من الفضل والكمال حيث رضي أمير المؤمنين (عليه السلام) بخلقها ودينها، فأقدم على الزواج منها.. أما العكس فهو أوضح من أن يذكر.

لا يقال: كيف يحرّض الرسول (صلى الله عليه وآله) على ما تقدم وعلى البكارة، ثم لم يلتزم هو بما ذكره؟ لأنه يقال: كان عمل الرسول (صلى الله عليه وآله) وفقاً لقاعدة (الأهم والمهم)، ومن المعلوم أن تلك القاعدة مقدمة على غيرها - على ما ذكره في الأصول - وقد أشرنا في (الفقه: كتاب النكاح) إلى وجه اختيار الرسول (صلى الله عليه وآله) أزواجه.

٣١ - راجع كمال الدين ص ١٦ ب ٤٠ ح ٩، وفيه: (عن هشام بن سالم قال: قلت للصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): الحسن (عليه السلام) أفضل أم الحسين (عليه السلام) فقال: الحسن أفضل من الحسين قال: قلت: كيف صارت الإمامة بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين (عليهما السلام)، أما ترى انهما كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين في الإمامة، وإن الله عز وجل جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون). راجع أيضاً من فقه الزهراء: ج ١ ص ١١ و ١٧ و ١٧ و ٢٨٤.

٣٢ - غوالي اللئالي: ج ٢ ص ٢٧٤ ح ٣٧.

٣٣ - قال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوجه (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)). راجع بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٣٧٢ ح ٣، وفي حديث آخر عن الإمام الجواد (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه و (إلا تفعلوا...))، كلمة الإمام الجواد (عليه السلام) ص ٩٥.

٣٤ - راجع موسوعة الفقه: ج ٦٢-٦٨ كتاب النكاح. و (الحجاب الدرع الواقى) و (الشباب).. للإمام المؤلف.

وكانت أم البنين (سلام الله عليها) في غاية الأدب والأخلاق، فقد قالت لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، لا تسمني فاطمة!، لأن الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم (عليهم السلام) يتذكرون أمهم ويتأثرون بذلك، ولذا سمّاها (عليه السلام) بـ (أم البنين) - على ما هي العادة عند العرب من الكنية - لا باعتبار الانطباق الخارجي، بل باعتبار الانتخاب، والله سبحانه رزقها أربعة أولاد (مثل بدور الدجى) فصاروا مفخرة البشرية إلى يوم القيامة.

٥

البيوت المباركة

كانت دور الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) وآلهما (صلوات الله عليهم أجمعين) بطبيعتها دورا للتركية والتعليم والتربية للبشرية جمعاء.

وقد سجل التاريخ بعض ذلك.. كما وردت الروايات بالنسبة إلى الزهراء (عليها السلام) فكانت تعلم الأحكام الشرعية وما أشبه للنساء.

وهكذا بعض زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله).

ومن الطبيعي أن تكون دار الإمام علي (عليه السلام) وفي حين وجود أم البنين (سلام الله عليها) فيها، مدرسة للتعليم والتركية.

فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) ربّى المسلمين ذكوراً وإناثاً على ترك البطالة، والاشتغال الدائم في أمور الدنيا والآخرة..

حتى أن معاوية لما أبطأ في حضوره عند الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما طلبه، قال (صلى الله عليه وآله): (لا أشبع الله بطنه) (٣٥) حيث أخبر بأنه مشغول بالأكل والأكل..

أم البنين والكوفة

وهل كانت أم البنين مع الإمام (عليه السلام) في الكوفة إلى حين استشهاده؟.

لا نعرف ذلك..

وربما يقال: إنها لم تكن مع الإمام (عليه السلام) (٣٦) وإلا لحدثنا التاريخ به، فعدم الوجدان - في هكذا موارد - دليل على عدم الوجود.

٣٥ - راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٤٨ ب ٥ (بيان) وفيه: (وفي تاريخ البلاذري ان النبي (صلى الله عليه وآله) انفذ ابن عباس إلى معاوية ليكتب له، فقال: انه يأكل، ثم بعث اليه ولم يفرغ من أكله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): لا اشبع الله بطنه).

٣٦ - راجع تذكرة الخواص: ص ١٦٨ وكشف الغمة: ج ١ ص ٤٤٢.

فإذا لم تكن معه (عليه السلام) فما هو السر في ذلك، ولماذا لم يحضرها الإمام (عليه السلام) معه؟ مع أنه قد اصطحب بعض أولادها كما ذكره التاريخ، فهل بقيت لتبقى دار الإمام - بحضورها - مدرسة لتعليم البنات وتربية النساء..؟

لا شك أن بيت الإمام (عليه السلام) كانت بحضورها كذلك.

إن التاريخ المدون لم يذكر إلا جزء صغيراً جداً من أحوال أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) رجالاً ونساءً..

فلم يرد الكثير عن اللاتي كن في أطرافه (صلى الله عليه وآله): في حجته وعمرته، وحربه وسلمه، وسفره وحضره، كما لم يذكر التاريخ التفصيل عن حياتهن وأعمالهن وأدوارهن.

ومن الواضح أنه لم يذكر دور أم البنين (عليها السلام) وعملها بعد قصة كربلاء بالشكل الكامل، نعم إنما ذكر بكاؤها وندبتها (٣٧) على أوجز وجه.

بل الأمر يتعداها إلى مريم الطاهرة (عليها السلام)، وخديجة الصديقة (عليها السلام)، وفاطمة سيدة نساء العالمين (عليها السلام) وغيرهن من النساء الصالحات المؤمنات..

ومع كل ذلك فقد بقي الشيء القليل القليل من أحوالهن بما هو مذكور في بعض التواريخ أو الروايات، وفي هذا القليل: الكثير الكثير لمن أراد أن يتذكر أو يخشى.

ومما يستفاد من ذلك: إن الإسلام لم يخص عمل المرأة بالدار، كما يظهر مما ورد في قصة الزهراء (سلام الله عليها) وخطبتها في المسجد واحتجاجها، وإن كان قد ورد بالنسبة إليها (عليها السلام) القليل أيضاً وتفصيل الكلام في (الفقه) (٣٨).

٦

إحياء الذكرى

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا) (٣٩).

إن إحياء ذكرى أم البنين (عليها السلام) وذكرى المعصومين (عليهم السلام) وذويعهم ومن إليهم، كالعلماء

٣٧ - حيث قالت وهي ترثي أولادها:

لا تدعوني ويك أم البنين***تذكريني بليوث العرين

كانت بنون لي أدعى بهم***واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى***قد واصلوا الموت بقطع الوتين

انظر مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٢٠٩، مقاتل الطالبين: ٨٥.

٣٨ - راجع موسوعة الفقه كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)): ج ١-٢.

٣٩ - قرب الإسناد: ص ١٨.

والصالحين والصالحات، من أهم ما يلزم، وذلك لأجل تنظيم الحياة تنظيماً صحيحاً يوجب سعادة الإنسان في دنياه وآخرته.

فمثلاً في ذكرى أم البنين (سلام الله عليها) تتذكر النساء هذه المرأة الطاهرة، العفيفة الشريفة، الحافظة لنفسها، الذاكرة لله واليوم الآخر، المديرية لبيتها، المراعية لحقوق زوجها، المربية لأولاد صالحين و.. فتتعلم منها وتقتدي بها، فلا تكون مبعثرات ولا ساقطات ولا مهملات في الحياة الزوجية أوفي تربية الأولاد - كما هو المشاهد في يومنا هذا -.

وبذلك تسعد المرأة التي تلقت الدروس من مدرسة أم البنين (عليها السلام) واتبعتها، ويسعد بها غيرها من أولادها وذويها، فيكون الإحسان عائداً لنفسها قبل غيرها، قال سبحانه: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ وَأَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَأَنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا) (٤٠).

ولا شك أن ذكرى أم البنين (عليها السلام) وذكرى العظماء رجالاً أو نساءً، موجب للأجر والثواب فقد ورد: (من ورّخ مؤمناً فقد أحياه) (٤١)، فكما أن إحياء الإنسان يوجب الخيرات، كذلك إحياء ذكره، قال تعالى: (وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (٤٢).

بالإضافة إلى أن ذكرى الأخيار والخيرات تملأ النفس الإنسانية بالصحيح النافع والمنهج المسعد، والعكس بالعكس، وعندئذ تعكس النفس التي تلقت الذكرى شيئا من تلك الأسوة.. إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وهذا تكليف على كل إنسان بقدر وسعه، قال سبحانه: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا) (٤٣). وقال الشاعر:

وكل إناء بالذي فيه ينضح (٤٤)

وقد ذكر العلماء بأن حال النفس حال المعدة، فتملاً تارة بالطعام الصحيح وتارة بالفاسد، وملؤها بالصحيح يصلح لها الدين والدنيا، وملؤها بالفاسد يفسد عليها الدين والدنيا.. في الفرد والمجتمع. فالذهن يجب أن يملأ بالعقيدة، إما الصحيحة وإما الفاسدة، فإذا لم يمتلأ بالعقيدة الصحيحة امتلأ بالباطلة، وهكذا حال العادة صحيحة كانت أو باطلة.

وعلى أي فسيحة العظيمة تربي العظيمة،، بل وحتى العظماء في الأمور المشتركة كالعبادة والزهد والتقوى، فسيرتهن تربية للرجال والنساء.. والبنين والبنات.. للبشرية جمعاء.

٤٠ - سورة الإسراء: ٧.

٤١ - راجع سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٤١ مادة (ورخ) وفيه: (قد ورد عن سيد البشر (صلى الله عليه وآله): من ورّخ مؤمناً فكأنما أحياه).

٤٢ - سورة الحج: ٣٢.

٤٣ - سورة الطلاق: ٧.

٤٤ - وهذا شطر من أبيات للشاعر أبي الصيفي المعروف بالحيص وبيص، وتام البيت هو: وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح.

أولادها

كان أولادها الأبطال أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد استشهدوا جميعاً في نصرته أخيهم الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء يوم عاشوراء.

أكبرهم وأفضلهم: (العباس) (عليه السلام) ويكنى بـ (أبي الفضل) وهو آخر من قتل من الأربعة، حيث قدمهم بين يديه فقتلوا جميعاً.

وقد كان للعباس (عليه السلام) عقب ولم يكن لأخوته الثلاثة، وكان رجلاً جميلاً حتى لقّب بـ (قمر بني هاشم).. وكان شجاعاً جسيماً بحيث يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطان الأرض خطأ، وكان لواء الإمام الحسين (عليه السلام) معه يوم استشهد، ولقّب بـ (السقاء) لأنه استسقى الماء من الأعداء لأخيه الحسين (عليه السلام) وعائلته ولكن قُتل قبل أن يوصل الماء إليهم، وكان قد جاء بالماء من نهر علقمة، وقد رأيت أنا هذا النهر قبل نصف قرن في طريق بغداد مبتعداً عن كربلاء بمقدار نصف فرسخ، كذا قالوا بأنه نفس ذلك النهر. وقد ذكر أصحاب المقاتل شينا عن بطولة أولاد أم البنين ومواساتهم للإمام الحسين (عليه السلام) وكيفية استشهادهم، فقالوا:

إنه لما رأى العباس (عليه السلام) كثرة القتلى في أهله وفي أصحاب الحسين (عليه السلام) - بالنسبة إلى عددهم القليل - قال لأخوته الثلاثة من أبيه وأمه، عبد الله وجعفر وعثمان:

(يا بني أمي تقدموا للقتال، بنفسي أنتم، فحاموا عن سيدكم حتى تستشهدوا دونه، وقد نصحتكم لله ولرسوله) (٤٥).

فقاتل عبد الله وعمره خمس وعشرون سنة فقتل بعد قتال شديد.

ثم تقدم جعفر بن علي (عليه السلام) وعمره تسع عشرة سنة وقاتل قتال الأبطال حتى قتل.

ثم تقدم عثمان بن علي (عليه السلام) وعمره إحدى وعشرون سنة وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل.

وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يحملهم من أرض المعركة إلى الخيمة كما جرت العادة في ذلك اليوم، ولكنه (عليه السلام) لم ينقل العباس (عليه السلام) وتركه في مصرعه حيث ضربه الآن، وذلك لأسباب مذكورة في مظانها.

وكان كل واحد من أولاد أم البنين يرتجز عند القتال بما هو مذكور في كتب المقاتل (٤٦).

٤٥ - انظر (الحسين (عليه السلام) قتيل العبرة) مقتل الشيخ عبد الزهراء الكعبي، ص ١٠٦، و (مقتل السيد المكرم) و (اللهوف في قتلى الطفوف) و...

٤٦ - فلما برز عبد الله بن علي (عليه السلام) أخذ يقول:

ولما وصل خبر استشهادهم إلى أمهم - أم البنين - في المدينة المنورة بكتهم بكاءً مرّاً، لكن كان بكاءً لها لهم
أقل من بكانها على الحسين (عليه السلام) وذلك في قصة مشهورة.
وهذا الموقف المشرف من السيدة أم البنين (عليها السلام) يدل على علو معرفتها بالإمام (عليه السلام)..

انا بن ذي النجدة والأفضال***ذاك علي الخير ذو الفعال
سيف رسول الله ذو النكال***في كل يوم ظاهر الأحوال
ثم برز بعده أخوه جعفر بن علي (عليه السلام) وهو يقول:
اني أنا جعفر ذو المعالي***ابن علي الخير ذي النوال
حسبي بعمي شرفاً وخالي
ثم برز بعده أخوه عثمان بن علي (عليه السلام) وهو يقول:
اني انا عثمان ذو المفاخر***شيخ علي ذو الفعال الطاهر
هذا حسين خيرة الأخيار***وسيد الكبار والأصاغر
بعد الرسول والوصي الناصر
ولما برز العباس (عليه السلام) اخذ يقول:
انا الذي أعرف عند الزمجرة***بابن علي المسمى حيدرة
ولما دخل المشرعة واغترف من الماء غرفة ليشرب تذكر عطش الحسين (عليه السلام) وقال:
يا نفس من بعد الحسين هوني***وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين شارب المنون***وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني***ولا فعال صادق اليقين
ولما ملأ القربة وتوجه إلى المخيم اخذ يقول:
لا اهرب الموت اذا الموت رقاً***حتى أوارى في المصاليات لقا
اني انا العباس اغدوا بالسقا***ولا أخاف الشر يوم الملتقى
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا
ولما قطعت يمينه قال:
والله ان قطعت يميني***اني أحامي أبداً عن ديني
وعن امام صادق اليقين***تجل النبي الطاهر الأمين
ولما قطعوا شماله قال:
يا نفس لا تخشي من الكفار***وأبشري برحمة الجبار
مع النبي السيد المختار***قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حر النار
راجع: مقتل الشيخ عبد الزهراء الكعبي (ره): ص ١٠٧-١١٢.

الكرامة الإلهية

ورد في الحديث القدسي: (عبدني أطعني أجعلك مثلي أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما امرتك تقول للشيء كن فيكون)(٤٧).

ومن هنا تنشأ معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء (عليه السلام)، والفرق بينهما أن الأولى على سبيل التحدي، بخلاف الثانية فإنها على سبيل إظهار فضل الولي أو ما أشبه.

وأم البنين (سلام الله عليها) صاحبة الكرامات الكثيرة التي نقلت عنها متواتراً وشوهدت كذلك، وذلك بالنذر أو التوسل بها لتشفع عند الله.. بإهداء ختمة أو قراءة القرآن الكريم لها أو ما أشبه.

وقد سمعت طيلة حياتي كثيراً من كراماتها المتواترة ولا يسع المقام لبيانها.

هذا ومن الواضح أن قوانين الكون - وهي لا تعد ولا تحصى - إنما هي بأجمعها بإرادة الله سبحانه، والكرامة خارقة للقانون الكوني العام، وهي تدخل تحت قانون المستثنيات، فتكون أيضاً بإرادته تعالى، فالإرادة تشمل المستثنى والمستثنى منه كما لا يخفى..

فمن جعل النار محرقة جعلها برداً وسلاماً (٤٨)..

ومن جعل الماء لازماً لتساوي السطوح جعله فرقاً فرقاً كل فرقة كالطود العظيم (٤٩)..

ومن جعل القلب حينما يتوقف تسقط الأعضاء وأجهزة البدن عن العمل، جعله يرجعه إلى التحرك.. بإحياء الموتى.

وهكذا في سائر المعجزات والكرامات.

من غير فرق بين أن يكون الفاعل نبياً أو وصياً، حياً كعيسى (عليه السلام) أو متوفياً كنبى الإسلام (صلى الله عليه وآله).

وهكذا الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف). وليس الأمر خاصاً بهم (عليهم السلام)، بل يشمل النساء الطاهرات، معصومة وغيرها أيضاً، كفاطمة الزهراء والسيدة زينب (عليهما السلام)(٥٠) بل وحتى العلماء ومن إليهم كما مرّ في الحديث القدسي.

٤٧ - كلمة الله: ص ١٤٠.

٤٨ - إشارة إلى قوله تعالى في قصة إبراهيم (عليه السلام): (يا نارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) سورة الأنبياء: ٦٩.

٤٩ - إشارة إلى قوله سبحانه في قصة موسى (عليه السلام) (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) سورة الشعراء: ٦٣.

٥٠ - وهكذا أمهات الأنبياء والأئمة ومن أشبهه، كالسيدة نرجس والسيدة حكيمة والسيدة فاطمة المعصومة (صلوات الله عليهم وعليهن أجمعين).

ثم إنه ليس باختيار الإنسان نفسه أن يصبح نبياً أو إماماً وإنما (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٥١).
أما أن يصبح ولياً من أولياء الله كالقدس الأردبيلي (قدس سره) (٥٢)، والسيد بحر العلوم (قدس سره) (٥٣)، فهو باختيار الإنسان وذلك بتطبيقه ما تقدم من قوله تعالى في الحديث القدسي: (عبي أطعني...)
(٥٤).

ولو سمح التوفيق لبعض الأفاضل ليؤلف كتاباً حول كرامات أم البنين (عليها السلام) المذكورة، فمن غير البعيد أن يجمع أكثر من ألف كرامة بإذنه سبحانه؛ قال عز وجل: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٥٥).

٩

زيارة قبرها

زيارة قبر أم البنين (سلام الله عليها) لها أجر وثواب عظيم فإن زيارة قبور المؤمنين والمؤمنات لها ثواب كثير، وقد ورد التأكيد على ذلك في الروايات (٥٦)، فكيف بزيارة مثل قبرها.
وهي (عليها السلام) في المدينة المنورة في البقيع، ويلزم على المسلمين بناء قبور أئمة البقيع وقبور هؤلاء الصالحين والصالحات بأحسن ما يمكن ويناسب مقامهم العالي.

٥١ - سورة الأنعام: ١٢٤.

٥٢ - هو أحمد بن محمد الأردبيلي يلقب بالقدس الأردبيلي.

٥٣ - هو السيد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد محمد البروجردى المعروف ببحر العلوم، المنتهى نسبه الشريف إلى السبط الأكبر الحسن بن علي (عليه السلام) وهو من الذين تواترت عنه الكرامات ولقائه الحجة (صلوات الله عليه)، ولد في مشهد الحسين (عليه السلام) بربلاء سنة ١١٥٥ هـ وتوفي في النجف الأشرف ١٢١٢ هـ.

سفينة البحار: ج ١ ص ٥٩ مادة (بحر)

٥٤ - كلمة الله: ص ١٤٠.

٥٥ - سورة العنكبوت: ٦٩.

٥٦ - راجع الكافي: ج ٣ ص ٢٢٨ ح ١ وفيه: (عن أبي عبد الله (عليه السلام) في زيارة القبور قال: إنهم يأتسون بكم فإذا غبتم عنهم استوحشوا).

وفي سفينة البحار: ج ٢ ص ٣٩٥ مادة (قبر): عن داود الرقي قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (يقوم الرجل على قبر أبيه وقريبه وغير قريبه هل ينفعه ذلك؟ قال: نعم، إن ذلك يدخل عليه كما يدخل على أحدكم الهدية يفرح بها).
وفي ص ٣٩٦: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج في ملأ من الناس من أصحابه كل عشية خميس إلى بقيع المدنيين فيقول: السلام عليكم أهل الديار، ثلاثاً، رحمكم الله، ثلاثاً.

ومن الواضح أن تراب قبرها الطاهر له الأثر الخاص، طبعاً لأكثر تراب قبور الأئمة المعصومين والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، فإن مجرد كونه تراباً لمثل قبرها له حيثية رفيعة كما هو واضح.

ولا يبعد بقاء جسدها (عليها السلام) في القبر.. وإن لم أجد لذلك نصاً، فإنه يعرف بالأشباه والنظائر:

فقد بقي جسد (بي بي حياة) المجاهدة مع الفتح الإسلامي في (يزد) إلى هذا اليوم (٥٧).

وجسد حذيفة (٥٨) إلى زماننا في (بغداد) وذلك في قصة حدثت لقبره (٥٩).

وغير ذلك مما هو كثير وكثير..

قال سبحانه عن السامري: (فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) (٦٠) مع أنه كان تراب حافر فرس جبرئيل عند بحر مصر في قصة مرور موسى (عليه السلام)..

فإذا كان ذلك التراب له هذا الأثر العظيم حتى جعل (عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا) (٦١) فمن الواضح أثر تراب قبرها (عليها السلام) (فإن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد).

بناء قبور البقيع (٦٢)

وإذا انتهى دور هدم البقاع المتبركة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بإذنه سبحانه، ولا يبعد أن يكون قريباً حسب القرائن والشواهد، يلزم بناء ضريح وقبة على قبرها أيضاً كما كان قبل الهدم، بل بما يناسب اليوم.

ولو زارها (عليها السلام) الإنسان - وإن لم أجد زيارة خاصة لها -، وصلى عند قبرها ركعات - لا بعنوان الورود - قربة إلى الله سبحانه وأهدى ثوابها لها، كان مشمولاً لما دلّ من إهداء أمثال الصلاة للمؤمنين والمؤمنات مما ورد به النص (٦٣).

ويجري مثل ذلك في سائر قبور الطاهرات المؤمنات كأم النبي (صلى الله عليه وآله)، والسيدة خديجة (عليها السلام)، والسيدة زينب (سلام الله عليها) والسيدة نفيسة (٦٤) (سلام الله عليها) ومن أشبهه.. والله ولي التوفيق.

٥٧ - راجع كتاب (السيدة زينب عالمة غير معلمة) ص ٣١.

٥٨ - هو حذيفة بن اليمان أبو عبد الله، سكن الكوفة ومات بالممدان بعدبيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بأربعين يوماً، وقد ذكره الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) وفي أصحاب علي (عليه السلام) شهد بداراً وأحداً وهو أحد الأركان من الأصحاب، توفي في المدائن في ٥ صفر سنة ٣٦هـ.

راجع أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٥٩٢.

٥٩ - انظر كتاب (السيدة زينب عالمة غير معلمة) ص ٣٣.

٦٠ - سورة طه: ٩٦.

٦١ - سورة طه: ٨٨. وسورة الأعراف: ١٤٨.

٦٢ - للتفصيل راجع كتاب (البقيع الغرقد) للإمام المؤلف (دام ظله).

٦٣ - انظر ما ورد من استحباب الخيرات وإهداء ثوابها للأموات، راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٣٩٥-٤٠٢ مادة (قبر).

٦٤ - السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن المجتبي (عليه السلام)، توفيت بمصر وأراد زوجها وهو الاسحاق المؤمن بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) نقلها إلى المدينة ودفنها في البقيع، فسأله أهل مصر بتركها عندهم للتبرك، وبذلوا له مالا كثيراً، فلم يرض، فرأى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: يا اسحاق لا تعارض أهل مصر في نفيسة، فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها، وحكي عن الشعرائي أن الشيخ أبا المواهب الشاذلي رأى النبي (صلى الله عليه وآله)

١٠ طريق الآخرة

مما يلزم على الإنسان أن يتطلب الآخرة دائماً وذلك بابتغاء الوسيلة التي عينها الله تعالى كما قال سبحانه: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (٦٥).

فالدَّارُ الْآخِرَةُ هي كل شيء، أما الدنيا فلإنسان فيها نصيب قليل قليل (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) (٦٦).

ومن الواضح أن تسميته قليلاً إنما هو بمنطقنا، وإلا فالدنيا بالنسبة إلى الآخرة لا شيء، كيف والدنيا خمسون سنة مثلاً، والقبر إلى القيامة ربما يكون أكثر من مليارات السنين - كما ذكروا مثل ذلك في قدر عمر الشمس -، والحشر فقط خمسون ألف سنة مما تعدون، قال تعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (٦٧).

وقال عز وجل: (وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (٦٨).

وقال سبحانه: (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (٦٩).

فاللزام على الإنسان أن يغتنم الحياة بكل جد لتحصيل الآخرة الفضلى بسببها وإلا كان خاسراً أعظم خسارة بما لا تقدر:

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٧٠).

وفي الحديث: إنه لو أمكن للإنسان أن يموت في الآخرة لمات المذنب من الحسرة.

والله) فقال له إذا كان لك إلى الله تعالى حاجة فانذر لنفيسة الطاهرة ولو بدرهم يقضى الله تعالى حاجتك، وفي اسعاف الراغبين انها كانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلي وقرأت فيه ستة آلاف ختمة، وانها ماتت بمصر في شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ، ولما احتضرت وهي صائمة فالزموها الفطر، فقالت: واعجبا اني منذ ثلاثين سنة اسأل الله تعالى ان القاه وأنا صائمة، افطر الان؟! هذا لا يكون ثم قرأت سورة الاتعام فلما وصلت إلى قوله تعالى: (لهم دار السلام عند ربهم) ماتت.

انظر سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٠٤ مادة (نفس).

٦٥ - سورة القصص: ٧٧.

٦٦ - سورة التوبة: ٣٨.

٦٧ - سورة المعارج: ٤.

٦٨ - سورة الحج: ٤٧.

٦٩ - سورة السجدة: ٥.

٧٠ - سورة الزمر: ١٥.

إن ما يمكننا مما يرتبط بالسيدة أم البنين (عليها السلام) كعمارة قبرها، ونشر فضائلها، والنذر من أجلها، وزيارتها، وإهداء قراءة القرآن والصلاة وسائر المقرّبات لها، والتأسيّ بها، والاهتمام بشؤونها في كل الأبعاد، كلها مما يوجب الحصول على ثواب الآخرة الذي لازوال له ولا اضمحلال، إذا عمل بها الإنسان خالصاً لله وللدار الآخرة، بالإضافة إلى الحصول على ما يترتب عليها من الآثار الوضعية كاستجابة الدعاء وما أشبهه.

وهذا صادق بالنسبة إلى سائر أولياء الله من الأنبياء والأوصياء وذويهم والعلماء والصالحين.

فعلى الإنسان أن يتخذ من الدنيا الطريق إلى الآخرة وثوابها ويجعل ذلك ملكة لنفسه في كل أخذ وعطاء..

وقبول ورد.. وتحرك وسكون.. حتى لا يقول في الآخرة (يا حسرتى على ما فرطتُ في جنب الله) (٧١).

فإن كل شيء لا يحصل الإنسان على الأفضل منه بسبب أعماله ونواياه يكون حسرة عليه، وقد قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (بأفضل ما عندكم من الأعمال) (٧٢).

وقبل ذلك قال سبحانه: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (٧٣).

وقال تعالى: (سابقوا) (٧٤).

وقال سبحانه: (سارعوا) (٧٥).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات.

١١ وفاتها

إن مؤامرات الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، تنال الكثير من الأشياء والأشخاص..

ومن هنا لا نعلم شيئاً عن سبب وفاة السيدة أم البنين (عليها السلام)، مع العلم بأنها كانت تفضح بني أمية الذين قتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) ..

وقد أسس معاوية جند العسل وقتل به مالك الأشتر (رضوان الله عليه) (٧٦) وكثيراً من الأبرياء بالسّم.. حتى

٧١ - سورة الزمر: ٥٦.

٧٢ - راجع تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٨٨ ح ٤ عبارة علي (عليه السلام) وفيه: (إنها الدار التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل ممّا عملوه).

٧٣ - سورة المطففين: ٢٦.

٧٤ - سورة الحديد: ٢١.

٧٥ - سورة آل عمران: ١٣٣.

٧٦ - هو مالك بن الحارث النخعي المجاهد في سبيل الله والسيف المسلول على أعداء الله، وقد قال في حقه أمير المؤمنين (عليه السلام): (كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله))، استشهد عام ٣٨ هـ بالسّم بخدعة

صار عادة فيهم وفي العباسيين والعثمانيين من بعدهم.

فقد ورد في التاريخ أن هارون قتل السيد الإدريسي به، وهكذا قتل المأمون السيدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها) - كما رأيته في أحد التواريخ -.

بل أصبح ذلك مما تعارف واعتاد عليه الطغاة، كما يفعل (سينووه) من قتل بعض الحكام، وكقتل بعض رجال البلاط للفتيات الجميلات بالسم وذلك بعد الزنا بهن، وقد قتلوا (شجرة الدر) (٧٧) في الحمام بوسائل غير إنسانية!!

احتمال في سبب وفاة السيدة زينب (عليها السلام)

وإني أحتمل أن السيدة زينب (عليها السلام) قد قتلها الأمويون بالسم، وإن لم أجده في تاريخ، لكنه يستفاد ذلك من مختلف الشواهد والقرائن غير الخفية على من تأمل في ذلك.

نعم السيدة الجليلة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ماتت شهيدة بلا شك، فإنها لم تمت إلا بنعل السيف وكسر الضلع ونحوه.. كما ورد عنهم (عليهم السلام).

وقد شاهدنا في زماننا أمثال صدام وهدام يقتلون الناس بالسم!..

كما قتل صدام المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي (٧٨)، والسيد محمد الحيدري (٧٩) وغيرهما من الخطباء والعلماء بقهوة مسمومة أو لبن مسموم أو حنطة مسمومة أو ما أشبه، في قصص متواترة.

ولكن منهاج الأنبياء (عليهم السلام) كان على خلاف ذلك تماماً، وهو عندهم من أشد المحرمات، حتى خائنة الأعين كما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) في قصة (حكّم).

والبحث في هذا الباب طويل لسنا بصده رعاية للمقام، وإنما أردنا الالمام إلى ما ذكرناه من الاحتمال ومن الفرق بين منهاج الأنبياء (عليهم السلام) ومن إليهم، ومنهاج الطغاة الذين لا يراعون عن شيء في سبيل حكمهم ومالهم، بل وجنسهم..

قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح

بحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح (٨٠)

معاوية، حيث كان لمعاوية عين بمصر، فكتب اليه بهلاك الأشر، فصحبته نافع مولى عثمان فخدمه وأطفه حتى أعجبه وأطمأن اليه، فأحضر له شربة من عسل بسم فسقاها له فمات، وكان معاوية يقول: ان لله جنوداً من عسل. راجع الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٢٨-٣٢.

٧٧ - لقبت بعصمة الدين ملكة مصر، أصلها من جوارى الملك بخ الدين أيوب. فقتلت بالقباقيب والنعال. الموسوعة العربية الميسرة: حرف الدال.

٧٨ - رائد المنبر الحسيني الخطيب الكبير، ولد يوم ميلاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولذلك سمي بعبد الزهراء، وتوفي في يوم وفاتها مسموماً سنة ١٣٩٤ هـ.

٧٩ - من بيوتات العلم في الكاظمية المشرفة.

٨٠ - للشاعر ابن صيفي الملقب بالحيص بيص.

١٢ الخاتمة

وفي الختام نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للتأسي بهؤلاء الأبطال (عليهم أفضل الصلاة والسلام) في مختلف الأمور الدينية والدنيوية، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٨١)، فإن قاعدة التأسي تجري فيه (صلى الله عليه وآله)، وهكذا في أهل بيته ومن يتعلق بهم من الأولياء الصالحين. وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

٢٨ شعبان ١٤١٩ هـ

محمد الشيرازي

من مصادر التهميش

- القرآن الكريم
- أسد الغابة/ ابن أثير
- أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين
- البقيع الغرقد / الإمام الشيرازي
- التهذيب / الشيخ الطوسي
- الحجاب الدرع الواقى / الإمام الشيرازي
- الحسين (عليه السلام) قتل العبرة / الشيخ عبد الزهراء الكعبي
- الخرائج والجرائح / الراوندي
- السيدة زينب عالمة غير معلّمة / الإمام الشيرازي
- الشباب / الإمام الشيرازي
- الكافي / الشيخ الكليني
- الكنى والألقاب / المحدث القمي
- الهوف في قتلى الطفوف / السيد بن طاووس
- المعجم الوسيط
- الموسوعة العربية الميسرة
- بحار الأنوار/ العلامة المجلسي
- تذكرة الخواص / ابن جوزي
- تفسير العياشي / العياشي
- ذيل المذيل / الطبراني
- سفينة البحار / المحدث القمي
- شرائع الإسلام / المحقق الحلي
- عوالم العلوم / البحراني
- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) / الشيخ الصدوق
- غوالي اللثالي / الاحصائي
- قرب الإسناد / الحميري.
- كشف الغمة / الإريلي
- كلمة الإمام الجواد (عليه السلام) / الشهيد الشيرازي

- كلمة السيدة زينب / الشهيد الشيرازي
- كلمة الله / الشهيد الشيرازي
- كمال الدين / الشيخ الصدوق
- مجلة (الرأي الآخر)
- مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر)
- معالم الزلفى / السيد البحراني
- مقاتل الطالبين / ابو الفرج الأصفهاني
- مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) / الخوارزمي
- مقتل الحسين (عليه السلام) / السيد المقرم
- منتهى الآمال / المحدث القمي
- موسوعة الفقه: كتاب القانون / الإمام الشيرازي
- موسوعة الفقه: كتاب النكاح / الإمام الشيرازي
- موسوعة الفقه: من فقه الزهراء (عليها السلام) / الإمام الشيرازي
- نقد الفلسفة الديالكتيكية / الإمام الشيرازي